

الرسالة المُجِبِّة

للأفئدة المُتَعَثِّرة

من تأليف : ضياء الدين ملوك 1447

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، أما بعد:

فإن من أعظم ما يحتاجه المسلم في زمن كثرت فيه الفتن وعمت الغفلة وزادت فيه المحن: علمٌ يُصِّره بحقيقة منزلته، ويرشده إلى سبيل عبادة خالقه، ومعرفة تعينه على تمييز معرقات الطريق إلى الله، وفقهٌ يبين له مسببات محبته ورضاه من مجلبات غضبه وسخطه.

وقد منَّ الله عليَّ بجمع ما يسَّره لي من علم وما أناره لي من بصيرة في هذا الكتاب، ليكون - بإذن الله - جلاءً وجبراً لكسور القلوب وأمراضها، ومعيداً النفوس إلى فطرتها، وحصناً منيعاً - بعد مشيئة الله - من نزغات الشيطان ووساوس النفس وشروها.

المنهج:

رتبت هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء أساسية، تتفرع منها أبواب وفصول عدة: الجزء الأول: التأسيس - وفيه بيان الأصول العقدية التي لا يستقيم قلب مرء إلا بها،

الجزء الثاني: المعرفلات - وفيه ذكر العوائق والعقبات التي تعترض العبد في سيره إلى الله،

الجزء الثالث: المسببات - وفيه بيان الأعمال الموجبة لمحبة الله ورضاه، والأعمال والأحوال الموجبة لغضبه وسخطه.

وحاولت قدر المستطاع تسهيل كلماته واختصار جملة ومقاصده، كي يكون موجهاً لعامة المسلمين، وكى يسهل قرائته ومراجعته واتخاذة كأساس يُرجع له حين ضعف النفس وتمكن الشيطان منها.

فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وإن أحسنت فما هو إلا محض فضل من الله وحده.

الجزء الأول: التأسيس

الباب الأول: اعرف منزلتك

اعلم - رحمك الله - أنك لست إلا عبدًا خلقه الله من ماء مهين، بدايته من نطفة تُثني، ونهايته جثة تَفنى وإن حياتك ومماتك، وروحك وجسدك، وسمْعك وبصرك، ورزقك وناصيتك بين يديه سبحانه وتعالى، يفعل بك ما يريد. إن شاء بعظيم رحمته رحمك، وإن شاء بتمام عدله أخذك بذنوبك، وأنه هو القاهر فوق عباده سبحانه جل وعلا.

فإن اعتقدت بهذا الاعتقاد، علمت مقدار ضعفك ووهنك، وأنت لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعًا، وتحقق في قلبك توحيد الله وتوقيره وتعظيمه، وصدقت اللجوء إليه، وصرت كلما نزلت بك مصيبة قلت: "مالك يتصرف في ملكه كيف يشاء"، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ {1}

وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية:

"فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو

كليهما مما تقدم ذكره. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء. فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه. بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله والشكر له على تديره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك. ومع أننا مملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجازى كل عامل بعمله. فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر. فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر. " {2}

فإن حققت المطلوب منك فالابتلاء - صابراً عند المحن وشاكراً عند النعم - فأبشر بخيري الدنيا والآخرة، وهو ما دلت عليه الآية التي تليها: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ {3}

1. [سورة البقرة: 156]

2. تفسير السعدي & تيسير الكريم المنان - ص 75

3. [سورة البقرة: 157]

فتنال مطلوب كل إنسان في الدنيا وهو طمأنينة النفس واستقرارها، والتوفيق والتيسير والبركة في كل أمور دنياك، علاوة على تكفير الذنوب ورفع الدرجات في آخرتك، كما قال ﷺ: «من كانت الآخرة همّة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همّة جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ، ولم يأتِه من الدنيا إلّا ما قُدِّرَ له». {صحيح الترمذي 2465}

وإن من مسببات السخط وانعدام الصبر على المحن، هو الاعتقاد الخاطئ لحياة الإنسان في الدنيا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد: 4]

فقال سعيد بن جبیر: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ في شدة وطلب معيشة. وقال عكرمة: في شدة وطول. وقال قتادة: في مشقة. {تفسير ابن كثير} وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) متى الراحة يا إمام؟ قال: عند أول قدم توضع في الجنة. {كتاب طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ت الفقهي - ج 1 ص 293}

فما دامت روحك بجسدك فأنت لا زلت في دار جهاد واجتهاد. وكلما رسخ هذا الأمر عندك طابت نفسك، واطمأن قلبك، وارتاح عقلك، وأيقنت أن كل ما فاتك من لذات الدنيا فهو ملائقك بأحسن وأكرم منها في آخرتك.

الباب الثاني: سبب خلقك

الفصل 1: العبادة

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [سورة الذاريات 56]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [سورة البقرة 21]

وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) [سورة النحل 36]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾) [سورة الحج 77]

وقال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [سورة المؤمنون 32]

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَالْبَنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾
[سورة النساء 36]

ولكن قبل العبادة يأتي أمر لا يقل أهمية وهو العلم الشرعي وطلبه، فكيف
يتقي الله من لا يدري ما يتقي، وكيف يعبد من لا يدري كيف يعبد.
فلا بد للمسلم ان يتعلم دينه ليرفع الجهل عن نفسه ويعبد الخالق حق عبادته
وهنا يلتفت الى امر مهم وهو من يؤخذ منه هذا العلم.

فقال ﷺ: (إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَثَمَةَ الْمَضْلِيْنَ) {صحيح الترمذي
2229}

وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ
الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا ، فَسُئِلُوا
فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا){أخرجه الترمذي (2652) واللفظ له، وأخرجه
البخاري (100)، ومسلم (2673) باختلاف يسير}

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا {64} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {65} يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ {66} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَ {67} رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا

[سورة الأحزاب 64 – 68]

فعدد من العوام يعتقد بمجرد اتباعه فتوى شخص ملتحي أو يسمي نفسه
شيخًا بهذا تبرئ دمه، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك

فليس كل من هب ودب يؤخذ منه الدين، بل يؤخذ من علماء أهل السنة
والجماعة الذي لا ينطقون بحرف إلا أتبعوه بقال الله قال رسوله.

كما قال ﷺ: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمَ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ
وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) {التمهيد 331/24}

الباب الثالث: حسن الظن

ثم اعلم – رحمك الله – كما ان سوء الظن من جنس عمل المنافقين، فإن
حسن الظن بالله من صفات المؤمنين

قال تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا
هُذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)

وقال الامام السعدي رحمه الله عليه ، في تفسير الآية:

ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل، { وَقَالُوا } بسبب ذلك الظن { سُبْحَانَكَ } أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأموال الشنيعة، { هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } أي: كذب وبهت، من أعظم الأشياء، وأبينها. فهذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، أن يبرئه بلسانه، ويكذب القائل لذلك.

وفي حديث صحيح: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَقَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ. { صحيح مسلم 2877 }
فما رزق عبد خير من حسن الظن بالله، فهو السعيد حقًا وقد أنعم الله عليه بنعمة لا يداريها نعمة ، كيف لا وهي صلب خصال المؤمن ، وهو ما يقيس به المرء كمال إيمانه من نقصه

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "والذي لا إله غيره ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن

عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنّه؛ ذلك بأنّ الخير في يده»

{كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا - ص 96}

وقال تعالى واصفًا حال عباده المؤمنين: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {1} فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)

[سورة آل عمران 173 - 174]

فرغم حصارهم وضعفهم إلا أنهم احسنوا الظن بالله، فكان الجزاء أن نالتهم رحمته الواسعة ونعمته الفاضلة وأجارهم من كل سوء،

فمن أحسن الظن به لن يرد رجائه وسيفتح له أبواب رحمته ويغفر له اذا استغفر ويؤتيه سؤله اذا سأله ويحيب دعائه اذا دعاه ويعيده مما تعوذ منه وينزل عليه سكينته ويستر زلته ويعطيه حاجته وطلبه، ولكن لا بد من الاحتمان والاختبار قبل ذلك ليميز الله الصادق ممن هو دون ذلك

الباب 4: أخطاء منتشرة حول حسن الظن

البعض يربط التماذي في المعاصي بحسن الظن بالله وهذا من جهله وضعف علمه بالله عز وجل ، كمثل قول بعض الحمقى: " أكثر ما استطعت من المعاصي اذا كان القدوم على كريم" وهذا من أشر الأقوال

فقد ورد في أثر صحيح عن أبو سليمان الداراني يقول: «مَنْ حَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ» {كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص40}

فإن حسن الظن بالله يستلزم اجتناب نواهيه والإتيان بأوامره ، وهو أكثر ما يزيد خشية الله وتوقيره .

فكلما عرفت الله من اسماء وصفاته حسن ظنك به وزدت خشية من غضبه وسخطه كما قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذِبٌ لِّكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [سورة فاطر 28]

الجزء الثاني: المعرقات

الباب الأول: الابتلاء

ومن أجلّ ما سمعت عن الابتلاء هو قول شيخنا الطريفي - حفظه الله -
:ولهذا نقول ان الله عز وجل اذا انزل بلاء على الانسان لا يعني انه لا يحب
العبد ولكن الله عز وجل بينه وبين عباده عقد ان الدنيا ليست لك،
إن اصبحت فباذن الله عز وجل هو اختبار وابتلاء وان سلمك الله عز وجل في
ذلك فاحمد الله سبحانه وتعالى وانما الكرامة عند الله جل وعلا هي سلامه
الدين، ان يحفظ الله عز وجل لك دينك، واذا انتكس الانسان عند اي نوع
من البلاء فهو إشارة على شيء من المنة، فكأنما يقول الم تبعني نفسك ومالك
فلماذا تراجع وتنتكست اذا انت لست صادق ببيعتك لست بصادق في
بيعتك. انتهى

ولكن للابتلاء مسببات وهي:

الفصل 1: الذنوب

فإن الله من تمام كرمه وعدله أنه لا يغير نعمته التي أنعمها على عبده إلا إذا صدر من العبد ذنب واتخذ الخطوة الأولى من تلقاء نفسه.

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَاٍلَ ۙ﴾ [الرعد: 11] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾ [الليل: 8-10]

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۖ﴾ [الأنعام: 44] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۖ﴾ [الشورى: 30]

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۖ﴾ [النساء: 79]

وقوله تعالى: ﴿يَنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۖ﴾ [الحديد: 14]

رغم أن هذه الآية الأخيرة نزلت في المنافقين إلا أنه يُؤخذ منها عبرة عظيمة وموعظة بليغة.

تفسير ابن كثير:

"﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت."

وحتى بالنظر إلى من قبلنا، فما أهلك قوم لوط، وما مسخ أهل السبت إلى قردة، وما أغرق فرعون وقومه وقوم نوح، وما حُسف بقارون، وما نزل العذاب على قوم عاد وثمود، وما أهلك قوم شعيب - لولا ذنوبهم وعصيانهم لأوامر الله واتخاذهم الخطوة الأولى من تلقاء أنفسهم.

ثم إن هذا الأمر لم يقتصر على عامة العباد فقط، بل حتى أنبياء الله وخاصته لم تغنهم نبوتهم عن الله شيئاً. فآدم عليه السلام طُرد من الجنة بذنب، وكذا يونس عليه السلام ابتلعه الحوت ودخل في بطنه لأنه عصى أمر الله.

فقال تعالى واصفاً فعل آدم وزوجه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه: 121]
وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الصافات: 142-144]

ثم إنه سبحانه جل وعلا، من تمام رحمته ولطفه بعباده، أنه تاب عليهم وأرشدنا بقصصهم لتعظ. فذكر لنا قوماً عصوه فنالهم عقابه، وقوماً أذنبوا فتابوا فتاب عليهم.

وزيادة على ذلك، سبحانه هو الكريم، لا يغفر لهم فحسب، بل يزيد على ذلك من فضله كما ظهر في تكملة الآيات. قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 145-148]

ونفس الشيء تكرر مع آدم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37]

الفصل الثاني: الإيمان

جمع كبير من البشر يعتقدون مباشرة فور توبتك ستنقلب حياتك إلى جنة دنيوية، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك. فقد قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 2-3]

فإذا تبت وأنبت إلى الله فاستعد لابتلاءات فيما تبت منه، ليمحص الله الصادق من الكاذب.

ثم إن محمد ﷺ، وهو خير الخلق وأكرمهم عند الله، لم يسلم من ابتلاءاته سبحانه. فقد أودى من قومه أشد الأذى ورُمي بالحجارة، وسُبَّ وشتم، وقُذِفَ عرضه، وأُتِّمَ بالسحر والصرع،

وأَيُّوب عليه السلام ابتلي أشد البلاء في بدنه. ونوح ابتلي بعقوق ابنه وتكذيب رسالته. ولوط أودى في ضيفه وعصته وزوجه. ويوسف أُدخل السجن ظلماً وحُرم من أبيه.

فكلما كان الإنسان أصلح، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله؛ كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ [الفرقان: ٣١].

وقال ﷺ إِنَّا كَذَلِكَ، يَشْتَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَجُوبُهَا فَيَلْبَسُهَا، وَ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَ لِأَحَدِهِمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ {صحيح الأدب المفرد 395}

فهذه هي سنة الله الثابتة التي لا تتغير في خلقه.

نسأل الله الثبات

الفصل الثالث: فضل البلاء على أهله

فرغم ما تراه من عظيم المصائب التي تنزل على العبد المؤمن، والتي قد يرق فؤادك لسماعها ويتعب عقلك بالتفكير فيها - فما أدراك بعيشها! - إلا أنك تجده صابراً وراضياً، بل وحامداً لله أنه جعله في طريق مَرٍّ منه أنبياء الله ورسله، بل وجمع من السلف "كانوا يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلية، ولأن من

كان أشد بلاء كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى " {كتاب مرعاة المفاتيح
شرح مشكاة المصابيح ج 5 ص 256}

وهذا كله من رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ومن عظيم لطفه بعباده
أنه يقذف في قلب المؤمن المخلص المبتلى شيئاً من الاطمئنان، ويخلع من قلبه
حب الدنيا وزخرفها، ويراهما له على وجهها الحقيقي.
كما وصفه شيخ الإسلام رحمه الله حين هددوه إذا لم يتراجع عن قول الحق،
فقال لهم: "ما أنتم فاعلون بي؟ فإن سجنني خلوة، وتعذبي جهاد، وقتلي
شهادة".

فسبحان الله حين قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: 286]

وحين قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 43]

وحين قال: ﴿وَإِذْ كُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ
عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۚ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 156]

وكذلك قوله ﷺ: «عَجَبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» [صحيح مسلم: 2999]

وكذلك قوله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كَفَّرَ اللهُ بها من خطاياها» [صحيح البخاري: 5642]

وقال ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة» [صحيح ابن حبان: 2913]

فاعلم - رحمك الله - أن البلاء من سِيَمِ الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214]

الباب الثاني: انتكاسة الصالحين

الفصل الأول: معناها

الانتكاس عند كثير من العوام سطحي جدًا، فالأكثرية يظنون أنه من كان على رشاد ثم انغمر في المعاصي واللذات وترك الذكر والعبادات فهذا المنتكس.

ولكن هنالك انتكاسة أخرى خفية يغفل عنها الغالب، وهي أشد خطرًا من الانتكاسة الكبرى، والتي أسميها انتكاسة الصالحين، وهي الرجوع أو التقليل من العبادات، وشرها يكمن اذا لم تنتبه لها، فهي من خطوات الشيطان فإن كنت أمس تقيم ليلك وتصوم نهارك وتحافظ على أذكارك ووردك، والنوافل عندك كممثل الفرض، واليوم ما بقي إلا الصلوات الخمس التي بجد ذاتها قد تقصر فيها وتستتهين بطلوع وقتها - فهذا انتكاس.

وخطورته هي أنك لا تستشعر انتكاستك، بل وتظن أنك على الطريق الحق، على خلاف الانتكاسة الكبرى التي تكون ظاهرة ومحسوسة وأثرها على نفسك غليظ.

فتظن أنك سليم ولكنك تُطبخ على نار هادئة، تُفوّدك نحوى الهلاك، فإما تنقذ نفسك قبل سقوطها، وإما تتجاهلها فتنتهي بك نحو الانتكاسة الكبرى. فإن الشيطان والنفس الأمارّة بسوء لا يأتيانك بالكبيرة، فهم يعلمان عظمتها في قلبك، بل يهبطان معك من ترك المستحبات الى الانقاص من السنن، الى الاستهانة بالواجبات والفروض !! ومثما الى موت القلب نسأل الله العافية.

الفصل 2: الوقاية منها

سبحان الذي جعل في القرآن شفاء وبيان لكل شيء، قال تعالى: (وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {1} إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)

[سورة الأعراف 200 - 201]

فأخبرنا تعالى بالحل وهو الاستعاذة بالله، فهي خير وقاية ودواء معاً.
وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية :

في أي حال يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ أي: تحس منه بوسوسة، وتشتيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سَمِيعٌ لما تقول. عَلِيمٌ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحملك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتِيَ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط

منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئاً حسيراً، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

ثم ان اكثر ما يثبت القلب ويزيد عزيمته وإيمانه ويبعده عن الانتكاس والغفلة، هو دروس العلماء ومحاضراتهم ومجالس العلم

فان اكثر واقواهم إيماناً - وهم صحابة رسول الله ﷺ - كانوا اذا خرجوا من مجلس مع محمد ﷺ وانخرطوا بالحياة قل إيمانهم

فعن حنظلة رضي الله عنه قال: لَقِيتُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا

تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ فِي طُرُقِكُمْ،
وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. {صحيح مسلم 2750}

فأبو بكر الذي قال عنه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: لو وُزِنَ إيمانُ أبي
بكرٍ بإيمانِ هذه الأمةِ لرجحَ به

{الكافي الشاف في تخریج أحاديث الكشاف 61} واشتكى انه اذا فارق
مجلس العلم - الذي هو مجالسة الرسول ﷺ - نقص إيمانه عن ماكان عليه،
فما ادراك بنحن الضعفاء ،نسأل الله الثبات

والأمر الثاني هو القراءة في سير النبلاء والصالحين. فرغم كبر همهم وكثرة
عبادتهم ومبلغ علمهم، إلا أنهم أشد الناس خوفاً من الانتكاس والنفاق ومن
حبوط العمل.

فبالنظر إلى حالهم تستوعب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة
فاطر: 28]

وبهذا - بعد مشيئة الله - تثبت على الدين الثبات العجيب، وتتسع بصيرتك
وتظهر لك حقيقة الحياة. والموفق حقاً هو من أنعم الله عليه بهذه النعمة التي
لا تعادلها نعم الدنيا بأسرها.

الباب الثالث: سوء الظن

اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن بالله ما هو إلا من جنس أعمال المنافقين، فقد قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة الفتح: 6]

وقال ابن القيم رحمه الله عن هاته الآية: "وَلَقَدْ بِهِ مَا يُنَاقِضُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الظَّالِمِينَ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ بِمَا لَمْ يَتَوَعَّدْ بِهِ غَيْرَهُمْ،" {الدواء والدواء ص 138}

وقال تعالى واصفاً ضعفاء الإيمان المتخلفين عن الجهاد مع الرسول ﷺ: (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا {12} وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا)

[سورة الفتح 12 - 13]

قال الامام السعدي رحمه الله:

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: { يَقُولُونَ بَلْأَسْنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنوب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء

وقال تعالى ☹️ {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

وقال الامام السعدي رحمه الله عليه، في تفسير الآية

{ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ } الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. { أَرْدَاكُمْ } أي: أهلككم { فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحققت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في

العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة. {تفسير السعدي سورة فصلت - آية

{23

ثم اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن من تلبس الشيطان للمسلمين كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [سورة آل عمران 175]

وكذلك قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّعْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [سورة البقرة 268]

فالخوف الشديد من المستقبل وتقلبات الحياة وما تخفيه في طياتها، كل ذلك من سوء الظن بالله الذي يقذفه الشيطان في قلب المسلم كي يكدر عليه يومه وبهذا تقل عباداته وتزيد غفلته.

الباب الرابع: احتقار النفس واستصغارها

قال ﷺ: (لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ فِيهِ مَقَالٌ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا مَنَعَكَ؟ فَيَقُولُ: خَافَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ تَخَافَ!)

...

الجزء الثالث: المسببات

الباب الأول: مجليات حب الله ورضاه

الفصل 1: طرق نيل محبة الله:

ان من لطف الله بعباده ومن رحمته الواسعة ،أنه بين لعباده الطرق المؤدية الى

محبهه وبين لهم مايناله العبد من عظيم مكاسب اذا نال محبهه

فقال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

وقال الامام السعدي رحمه الله:

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال { قل

إن كنتم تحبون الله { أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها

رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق

اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول

الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه

محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبههم لله، وما نقص من ذلك نقص. {تفسير السعدي}

ثم بين لنا رسوله الكريم ﷺ في حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،

فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ." {صحيح البخاري 6502}

الفصل 2: ثمار محبة الله

قال ﷺ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. {أخرجه البخاري (6040)}

وهنا ملاحظة بسيطة: وهي انه قد يخطر ببال أحد الناس بعد سماع الحديث ،ان القبول شامل لكل بني آدم ولكن الحقيقة على خلاف ذلك ،فالقبول المعني هو محبة أهل الحق وأهل الصلاح وأهل الإيمان والتوحيد لك ،والدليل قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [سورة مريم 96]

بل إن بُغض أهل الفساد والمعاصي لك ،هي شيء محمود فقد قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًا خَيْرَ حَبَابًا مَّسْثُورًا﴾ {45} وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا [سورة الإسراء 45 – 46]

وقال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة الزمر 45]

فإن من فطرة الله بالعباد أنه من تقابلت وتشابحت قلوبهم، تحابوا فيما بينهم ورأى كل واحد منهم الآخر مقبول ومحبوبًا.

نعود إلى موضوعنا وهو ثمار حب الله؛ فإن من اعظم الثمار وأجلها أن يوفقك للآخرة كما قال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفَقَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يَكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّمَا مُقَدِّمَاتُ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ {السلسلة الصحيحة 482/6}

وكذلك يحميه فالدنيا من كل ما يضر دينه كما قال ﷺ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظِلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءُ {2036}

وبعد كل هذا يرزقه الله تعالى أعظم نعمة قد يتحصل عليها انسان في هاته الدنيا وهي العلم الشرعي فقال ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، {صحيح البخاري 71}

فليس كثرة المال والحياة البهية علامة على حب الله للعبد، ولو كان كذلك لما كان الكفار والملحدين متمكنين في الدنيا، فالله تعالى يعطي المال من أحب

ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الإيمان إلا من يحب، فأول علامات محبة الله لك: أن الله تعالى جعلك مؤمناً، ولم يجعلك كافراً، فإذا رأيت نفسك تسير في طريق الصالحين، وتنهج منهجهم، وتحب مجالستهم، وتعمل كأعمالهم، فاعلم أن الله عز وجل قد أحبك، بأن أنار بصيرتك نحوى طريق الحق، فالزمه وعَضَّ عليه بالنواجذ، وأما إذا رأيت خلاف ذلك، فاعلم أنك تسير في طريق الشقاء والنار، والعياذ بالله.

الباب الثاني: مسببات غضب الله وسخطه

فان كل ما ثبت فيه وعيد أو جاء بالنهي ففعله موجب لحلول غضب الله بالعبد، وحاولت في هذا الباب جمعها

الفصل 1: الكفر والشرك

فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)

[سورة النساء 48]

وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عَابِدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)

[سورة المائدة 72]

وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة المائدة 73]

وقال تعالى: (خُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءَ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)

[سورة الحج 31]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)

[سورة النساء 136]

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)

[سورة الأحزاب 57]

ثم ان أعظم الكفر وأشدّه وأشنعه هو سب الله أو سب الرسول أو سب كتابه، ومن أقوال الطريفي حفظه الله: "سبُّ الله تعالى كفر فوق كفر الأصنام".

أي: إن عابد الأصنام إنما عظم الأحجار ورفعها حتى تساوي الله لا أنه أنقص قدر الله حتى ساواها بالأحجار.

فوالله وتالله وبالله أن هذا الباب عظيم، ومن شدة خطورته لست أهلاً لأخوض فيه، مخافة ألا أوفيه حقه، ولكن أردت أن أسلط الضوء عليه وأنصحكم يا أختواه الإلتفات والنظر إلى كتاب "تعظيم الله تعالى وحكم شاقمه" لفضيلة الشيخ عبد العزيز الطريفي

وكذا كتاب "الصارم المسلول في شتم الرسول" لشيخ الإسلام ففیهما من النفع الشيء العظيم.

ثم ان للإسلام نواقض من آتاها فقد كفر

قال الشيخ ابن باز - رحمة الله عليه - في نواقض الاسلام

****الأول:** من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء:48] وقال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة:72] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.**

****الثاني:** من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً.**

****الثالث:** من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.**

****الرابع:** من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.**

****الخامس:** من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَاهُمْ [محمد:9]**

****السادس:** من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة:65، 66]**

****السابع:** السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ [البقرة:102]**

****الثامن:** مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة:51]**

****التاسع:** من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر. لقوله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران:85]**

****العاشر:** الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ [السجدة:22].**

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما، ويخاف منها على نفسه،

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى.

ويدخل في الرابع أيضاً: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

{نشر هذا الموضوع في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض العدد السابع الصادر في الأشهر (رجب وشعبان ورمضان وشوال عام 1403هـ)، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 1/ 130).}

الفصل الثاني: الذنوب التي جاءت بوعيد أو نهي

العديد من عوام المسلمين يعصي الله وقد يتخذ ذلك روتينًا وهو لا يدري بأن
هذا الأمر محرم في الشرع،

ولكن لكي يكون هذا الكتاب مختصر ولا أطيل فيه قمت بتأليف كتاب
كامل بإسم "جامع ذنوب العبيد التي ثبتت بالوعيد" وهو كتاب علمي
حاولت جمع فيه كل الذنوب والمعاصي التي بها دليل من القران والاحاديث
الصحيح ويكون موجه لفئة عامة البشر